جيوبوليتيك الأزمة السورية بعد الثورة:

دراسة لتحولات أدوار الفاعلين الإقليميين في مسرح الصراع السوريّ..

د. نور الدين حشود ، أستاذ محاضر "ب" قسم العلوم السياسية
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

تسبّب تدويل الأزمة السوريّة إلى فسح المجال أمام التدخلات الأجنبية في الشأن السوريّ الداخليّ، وضياع مركز القوة السياديّة للسلطة، وتشتيتها إقليميا في شكل أوراق سياسية بيد أنظمة الدول المجاورة، والقوى الإقليمية المهيمنة، حتى أصبح الدور الروسيّ والإيرانيّ والتركيّ، وكيلا عن المعارضة السورية والحكومة، ولم يعد ممكننا العودة إلى ما قبل الثورة، وحيث يبدو ضعف الدولة السورية وفقدان هيبتها، نتيجة لأزمة إنهاء الدور السوريّ في لبنان، ومشكلة القضاء على حزب الله، فإنّ سوريا تتعرّض لأزمة كبيرة، أدّت إلى فوضى عارمة نتيجة فشل الدولة، فظهرت مشكلة الإرهاب، ومشكلة النزوح والهجرة غير الشرعية واللاجئين ومشكلة الإغاثة، وتحولت المشكلة السورية إلى كارثة إنسانية ومشكلة عربية حقيقية.

الكلمات الدالة:سوريا، روسيا، تركيا، إيران، السيادة، الدور، الجيوبوليتيك، الجوار، المعارضة، التهدئة، الهيمنة، الفوضى، الصراع، الحرب، اللاجئين، النازحين، الإغاثة، الإرهاب، المصالحة.

Abstract:

Internationalization of the Syrian crisis led to make way for foreign interference in internal Syrian affairs, and the loss of sovereign power center of power, and dispersed regionally in the form of political papers, however, the neighboring countries systems, and regional powers dominant, until he became the Russian and Iranian and Turkish role, as an agent for the Syrian opposition and the government, and did not the possible to return to pre-revolution, and where it seems the weakness of the Syrian state and the loss of prestige, as a result of the crisis to end Syria's role in Lebanon, and the problem of the elimination of Hezbollah, Syria is under great crisis, led to chaos as a result of state failure, which showed the problem of terrorism, the problem of displacement and illegal immigration, refugees and the problem of relief, turned the Syrian problem to a real humanitarian catastrophe Arab problem.

Key words: Syria, Russia, Turkey, Iran, sovereignty, role, geopolitics, the neighborhood, the opposition, the calm, hegemony, chaos, conflict, war, refugees, displaced people, relief, terrorism, reconciliation.

تمهيد:

كيف استطاعت السياسات الروسية للرئيس **فلاديمير بوتين** بتوجهاتها الأوراسية الجديدة للمفكّر الروسيّ **ألكسندر يوغن**، أن تجعل موسكو مهيمنا إقليميا على منطقة الشرق الأوسط، ومتحكّما رئيسيا في الجيوبوليتيك السوريّ؟، لقد سبق للنظام السوريّ أنّ جرّب التحادث مع وسيط مهيمن في صراعاتها الإقليميّة، هذا ما سرده وزير الخارجية الأسبق ـــ نائب رئيس الجمهورية السوريّ الحاليّ ـــ السيد **فاروق الشرع** **(*)**، حين تحادث الرئيس السوريّ الراحل حافظ **الأسد** مع الرئيس الأمريكيّ السابق **بيل كلينتون** سنة 2000، بخصوص ترتيبات السلام العسكريّ والتهدئة مع الكيان الصهيونيّ في المنطقة **(1)**. أما اليوم، فقد تغيّر الجيوبوليتيك السوريّ الذي أضحت معظم مفاتيحه بيد موسكو، طهران، وأنقرة، خصوصا بعد سقوط حلب منتصف شهر ديسمبر العام المنصرم 2016. وأضحت دمشق تعاني الوصاية والتبعية الدولية بعد أن كانت سوريا قبل 14 قرنا "مركزالنظام العالميّ"، إبان حكم الأمويين. **(2)**

وافق مجلس الأمن الدوليّ على قرار يدعم اتفاق وقف إطلاق النار في سوريا، والذي تم بوساطة روسية وتركية، وسهّل على أطراف النزاع السوريّ إطلاق **مفاوضات الاستانة في كازاخستان في (23 يناير 2017)** **(3)**،

وحضرت الولايات المتحدة الأمريكية المفاوضات بصفة مراقب، وهي التي شهدت على الصعيد الداخلي، تداولا سلميّا على السلطة بين الرئيس المنصرف بارك أوباما والرئيس المنتخب دونالد ترامب، إذ يبدو أنّ انهزام المعارضة السورية في حلب وانشغال واشنطن بالترتيبات الداخلية لتسليم السلطة، قد سهّل على كلّ من موسكو وأنقرة التدخّل بطريقة إيجابية محايدة بين طرفي النزاع (جيش النظام والجيش الحرّ) لإجبارهما على وقف إطلاق النار، تمهيدا لبدأ مفاوضات التسوية تحت رعاية الأمم المتحدة، وتناول المسائل الدقيقة لـ: (وقف القتال، توصيل الإغاثة، الإفراج عن المعتقلين، وقف التعذيب، ... وغيرها من المسائل العالقة الأخرى).

تعرّضت الدولة السورية إلى **أزمة سياديّة كبرى قضت على "هيبة الدولة"**، وأدّت إلى تشتيت مراكز القوى الداخلية للفرقاء السوريين، بسبب المستويات الخطيرة التي بلغها تدويل القضية السورية من استقطاب للحلفاء الأجانب والداعمين الدوليين، وتحويلها إقليميا إلى ميدان لتحقيق توازنات مختلفة بين القوى الإقليمية الدولية [4]، بدء بالتوازن بين القوتين الأمريكية والروسية، الوكيلتين عن قوات المعارضة السورية والجيش العربي السوريّ، فالتوازن بين القوتين الإيرانية والتركية الوكيلتين عن الطوائف السنيّة والشيعيّة في الداخل السوريّ، مع الأخذ بعين الاعتبار أدوار بقية دول الجوار، وما يمكن أن تلعبه بقية الفواعل المحتملة من أدوار تدخليّة بين الحين والآخر، مثل الإتحاد الأوروبيّ مصر وإسرائيل، السعودية ودول الخليج، الأكراد وحزب الله، تنظيم الدولة "داعش"... وغيرهم. فلم يعد الصراع متعلقا بأزمة الديمقراطية كما يقول **صاموئيل هنتجتون** [5]، بل بعواقب استخدام "القوة العسكرية" المفرطة، في سبيل تحقيق الهيمنة الإقليمية، تحت عنوان الدفاع عن الحريات الديمقراطية. ولن يستطيع حزب البعث السوريّ العودة بالأزمة إلى ما قبل سنة 2011، حين كان المطلوب داخليا، القليل من الانفتاح على المعارضة، لأنّ الأخيرة تصرّ على اجتثاث حزب البعث السوريّ ورحيل نجل الرئيس الأسبق، الدكتور بشار الأسد، عن السلطة. [6]

تعرّضت سوريا التي يجتمع على أرضها مقاتلون من 70 بلدا، إلى إرهاب دوليّ أتى على البنية التحتية للبلاد، وأدّى إلى انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان من جميع أطراف الصراع، كما تغيّر الجيوبوليتيك السوريّ، بسبب التدخلات المبالغة للاعبين الإقليميين، الراغبين في تحويل التوازنات الدولية في صالحها، على حساب الشعب السوريّ، وتحوّلت سوريا من بلد محقّق لاكتفائه الذاتيّ، إلى بلد بحاجة إلى دعم دوليّ لتحقيق الحاجات الأساسية لمواطنيه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، أزمة تموقع قوات المعارضة السورية في وادي بردى، الذي أدّى إلى توقّف إمداد العاصمة دمشق بالماء الصالح للشرب. وتقدّم هذه الأزمة صورة بسيطة عن ما يحدث في (إدلب، درعا، الغوطة الشرقية، ريف حمص، حماه، حلب، جنوب دمشق.. وغيرها).

هل تعتبر سوريا **"دولة مارقة"؟** كما يقول ناعوم تشومسكي؟، وهل يعود ذلك لصراعها الأبديّ ضدّ الكيان الصهيونيّ؟[7]، وهل يستحقّ الشعب السوريّ مصير التوازنات الإقليمية المعادية؟، وهل يمكن لهذه الأزمة متعدّدة الأوجه أن تنتهي في يوم من الأيام؟، أسئلة لم يتوقف عندها قادة النظام السوريّ كثيرا، لأنّ قادة حزب البعث السوريّ فضّلوا خوض المعارك السياسية والدبلوماسية المتتالية، بدل الاعتراف بالثورة السورية ومن يمثّلها، وقد كلّف هذا الموقف المتعنّت في البداية أطراف الصراع، الكثير من الخسائر، والمزيد من التدخلات الأجنبية في الشأن السوريّ، ومع جرأة جانبي الصراع على استخدام الأسلحة الكيمياوية المحرّمة، كما حدث في تهديد الرئيس الأمريكيّ الأسبق باراك أوباما نظام دمشق بعقوبات صارمة، انتهت باتفاق على تفكيك الأسلحة الكيماوية السورية، وما أعقبة من استخدام قوات المعارضة في خان العسل نفس الأسلحة مما شكّل إدانة لها قبل الجيش السوريّ، فوصل الصراع إلى عامه السادس، لم يحترم كلا الطرفين فيه حرمة الأيام الحرم، أو إتفاقيات الهدنة ووقف إطلاق النار، وعرف الميدان السوريّ تدخّل قوات حزب الله اللبنانيّ الذي تورّط في شكل دور طائفيّ ضدّ قوى المعارضة السورية، على الرغم من مزاعمه خوض قتال ضدّ تنظيم الدولة داعش في مدينة الرقة وغيرها.

وبناء على ما تقدم، يمكن طرح التساؤل التالي، للاقتراب من تفسير الظاهرة المبحوثة على النحو التالي:

إلى أيّ مدى نجحت موسكو وطهران في فرض توازن جديد للقوى يدفع الطرف الأمريكيّ إلى التزام الحياد في الأزمة السورية؟، وهل تعتبر الهيمنة الروسية هيمنة دائمة أم مؤقتة؟.

ويمكن توظيف الأسئلة التالية للاقتراب من تحليل الظاهرة المبحوثة على النحو التالي:

كيف قلبت موسكو حسابات الهيمنة السياسية في المسرح السوريّ؟، وهل اعتمدت على تحقيق النصر العسكريّ كعامل أساسيّ؟، أم هنالك ترتيبات سريّة مع أطراف إقليمية أخرى؟.

هل أدّى التدخّل الإيرانيّ وتدخّلها العسكريّ المباشر ضدّ المعارضة السورية، إلى قبول موسكو التمثيل التركيّ للسنّة والتمثيل الإيرانيّ للشيعة، لتسهيل المفاوضات حول التسوية؟.

كيف حافظ الكيان الصهيونيّ على حياده الدائم تجاه الأزمة السوريّة؟، وهل يضرّه الدور الروسيّ المهيمن؟، وهل يخدمه بقاء الأسد على رأس النظام السوريّ البعثيّ؟.

ما مصير المكوّن الكرديّ السوريّ؟، ولماذا تستمر موسكو في إقصائه من الحسابات السياسية الإقليمية؟.

أولا: التأصيل النظري للظاهرة المبحوثة : تحتاج هذه الدراسة إلى فرش نظريّ مبدئيّ لتسهيل تفسير الظاهرة المدروسة، يمكن تقديمها على النحوالتالي:

أولا: **نظرية السياسة الخارجية والدور الإقليمي،** والتي تقوم بتحليل السياسة الخارجية وفق أسس علمية محدّدة، تجعل الدبلوماسية الشقّ التنفيذيّ للتخطيط النظريّ للدور، لذلك ستعتمد الدراسة على نظرية لويد جونسون عن السياسةالخارجية [8]، وما أضافه الباحث المصريّ محمد السيد سليم في مؤلفه العلميّ المرجعيّ بخصوص مقتضيات صوغ السياسة الخارجية وأبعادها في رسم السياسة العامة والداخلية للدولة [9]، كما ستعمد هذه الدراسة على ما توصل إليه الباحث كارن سميث حول دور الأخلاق في السياسة الخارجية [10]، إضافة إلى ماجاء به الباحث كليفتون مورغان حول "نظرية السلعتين" وكيفيات توظيف الأزمات الدولية لخدمة أجندات أكبر في العلاقات الدولية[11]

كما ستبحث الدراسة **مفهوم الدبلوماسية (الخطوة التنفيذية لتخطيط لسياسة الخارجية)،** وهي مرحلة حاسمة في التحول بين العقلانية السياسية وخيار الحرب، وستفيد العملية البحثية في الاقتراب من الحلّ الأمثل لحل النزاع السوريّ، بعد الالتزام بمبادئ التفاوض الدوليّ الكفيل بوقف الحروب [12]، حيث أنّ احترام مبادئ الدبلوماسية يدلّ في حدّ ذاته على "الرغبة في التعاون" عند "تغليب الاحترام المتبادل بين الدول".[13]

ثانيا: ستعتمد الدراسة على **نظريات الجغرافيا السياسية** كنظرية مركزية، فنتيجة للتطوّر الجيوبوليتيكي للعالم، تطورت الدراسات الجيوسياسية وذاع توظيفها واستخدمها في الدراسات الدولية [14]، وستساعدنا على تفسير ما يحدث من تحولات في منطقة الشرق الأوسط، كانت قد بدأت منذ الاحتلال الأمريكي للعراق في مارس 2003، بالاعتماد على مناهج المفكر الألماني **فريديريك راتزل F. Ratzel** مؤسّس علم الجغرافيا السياسية [15]، ومناهج المفكرين **بييتر تيلور وكولن فلنت** [16]، وخلاصات المفكّر **لاديس كريستوف.** [17]

ثالثا: ستبحث الدراسة عن الأسس النظرية لمفهوم **التوازنات السياسية والعسكرية الدولية** والإقليمية [18]، المقاربات الحربية التي تأسست عليها **فكرة "التوازنات الإقليمية"** بدلالة الناتج العسكريّ للاقتتال الميداني [19]، كما ستبحث عن مفهوم **الأحلاف العسكرية** [20]، في ضوء البحث عن مفهوم **الأمن الجماعيّ** أيضا [21]. وتساعد هذه النظريات في فهم التوازنات العسكرية في الأزمة السورية المبحوثة (2011 - 2017).

رابعا: ستنطلق الدراسة من الأسس النظرية **لظاهرة الهيمنة في العلاقات الدولية،** ونظرية **الحرب اللاتناظرية** لتفسير ظاهرتي التدخلات الدولية في الأزمة السورية، وأسباب انتشار ظاهرة الإرهاب أيضا، ويمكن الاعتماد على الخلاصة النظرية التي قدّمها المفكّر السياسيّ **ألكسندر فاندت** في نظرية البنيوية في العلاقات الدولية، والتي تفسّر ظاهرة

الفوضى، إضافة إلى كتابات **جوززبيغنو بريجنسكي.** كما يمكن الاعتماد على دراسة الباحث الجزائريّ محمد قيراط عن "التجربة الجزائرية لمكافحة الإرهاب"، لدراسة كيفيات الخروج من الأزمة السورية وسبل مواجهة معضلة القتال ضدّ تنظيم الدولة، وكيفيات الانتقال إلى تجربة المصالحة الوطنية بعد نهاية الأزمة. [22]

خامسا: لا يمكن معالجة القضية السورية دون التطرّق إلى مشكلة التحول الديمقراطيّ وتفسير أسباب الثورة السورية ونتائجها، ويمكن التوصّل إلى تفسير ما يحدث في المسرح السوريّ بالإطلاع على دراسات الباحثين الأمريكيين **جابريال ألموند وروبرت دال** [23]، ودراسات **صاموئيل هنتجتون أيضا** [24]. ذلك أنّ نموذج الانتقال الديمقراطيّ في دولالعالم الثالث ملء بالعراقيل والمطبات، وقد يؤدّي إلى انهيار دول وتقسيم أخرى.

أخيرا: ستبحث الدراسة الآثار الاجتماعية للأزمة السورية بالاعتماد على التنظير الهام الذي قدّمه الباحث فؤاد الآغا في مؤلفه "علم الاجتماع العسكريّ" [25]، إضافة إلى دراسة مفهوم "التدخّل الدوليّ الإنسانيّ" وحتمية رعاية المجتمع الدوليّ لجهود إحلال السلام [26].

أما مناهج البحث في هذه المقالة البحثية، فستنطلق من دراسة الجيوبوليتيك السوريّ، انطلاقا من الإرث العثمانيّ، والامتدادات القديمة للشام، وهو ما يوضحه المخطط التالي للباحث السوريّ **إبراهيم أحمد سعيد،** وهو ما سيبرّر أسباب وحيثيات الدور التركيّ الضامن، والدور الروسيّ المهيمن، والدور الأردنيّ المتضرّر، الدور السعوديّ المتردّد، والدور الإيرانيّ التدخليّ، وغيره من الأنماط والسلوكات الدولية المتغيّرة، تجاه الأزمة السورية.

مخطط لدولة الشام (سوريا) أثناء فترة الاحتلال العثماني

(قبل اتفاقية سايكس بيكو 1916)

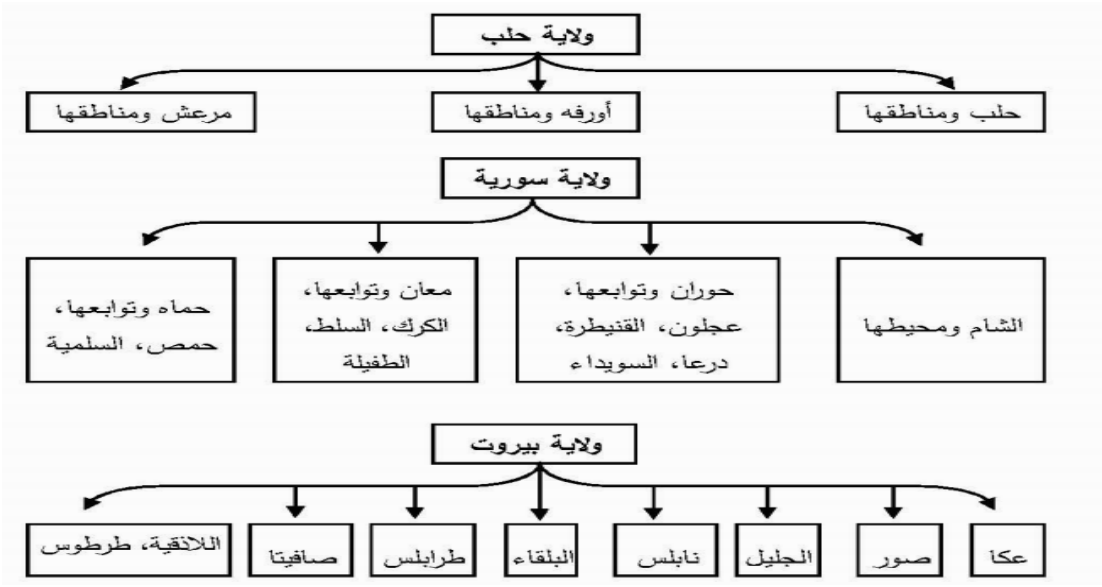

المصدر: إبراهيم أحمد سعيد، **الجيوبوليتيك السوريّ وقوّة الجغرافية السياسية السورية** (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2016)، ص. 44.

كما ستعتمد هذه المقالة على **المنهج الجغرافيّ**، لدراسة دور المكان في تدعيم مكامن القوة السياسية للفرقاء السوريين، وأسباب تشتيت قوة الجيش السوريّ، الذي لم يعد قادرا على مواجهة التدخلات الدولية والإقليمية في الشأن السوريّ، بعد تدويل القضية السورية.

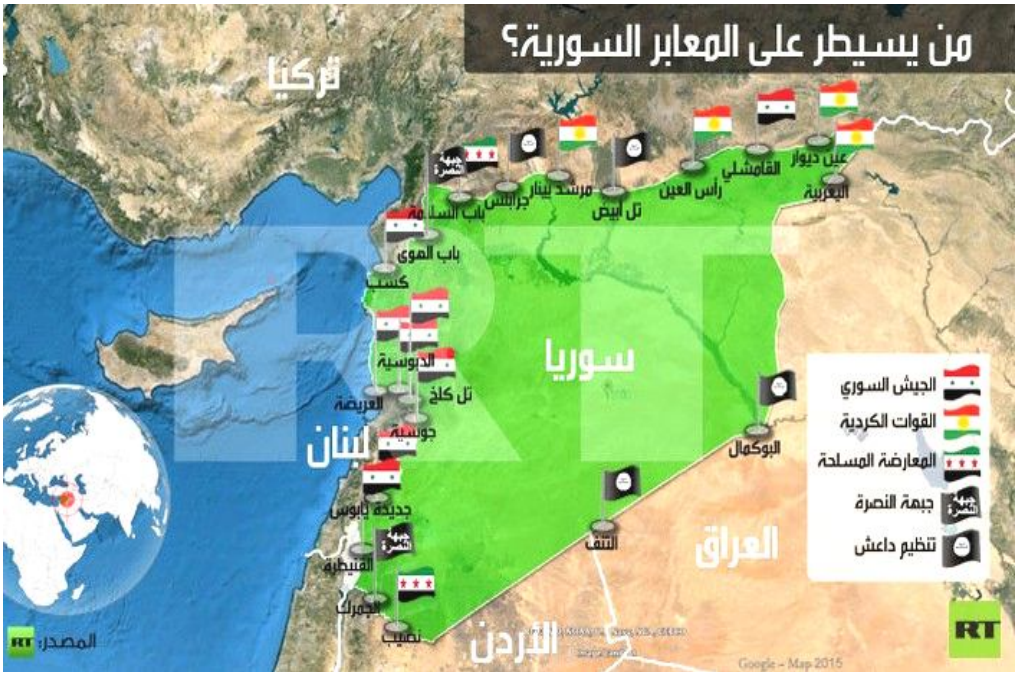

أنفوجرافيك وكالة أنباء روسيا اليوم: من يسيطر على المعابر السورية؟

ثانيا: - الدور الروسي والإيراني الداعم لقوات النظام السوريّ: تقاطعت أهداف موسكو ودمشق منذ محالفتهما العسكرية المتمثلة في استضافة سوريا قاعدة طرطوس العسكرية، إحدى أهمّ القواعد العسكرية المطلّة على البحر الأبيض المتوسط، لذلك سعت موسكو إلى حماية النظام السوريّ ضمن أجندتها السياسية الاستراتيجية لاستعادة دورها المهيمن في منطقة الشرق الأوسط [(27)]، وقد نجحت في القيام بتدخّل عسكريّ حاسم أدّى إلى سقوط حلب، وانهيار قوات الجيش الحرّ للمعارضة السورية وتراجعها نهاية السنة المنصرمة.

يتميّز الدور الروسيّ بامتلاك أوراق رائدة دوليا، مما جعل موسكو تشرف على الدور السوريّ بكلّ ثقة، بداية بامتلاكها مقعدا دائما في مجلس الأمن، وقدرتها على إدراج الملف السوريّ ضمن المحادثات الثنائية للتسابق الأمريكيّ الروسي على الهيمنة العالمية. كما تشرف اليوم على مفاوضات إستانة، كعضو محايد، وتسعى إلى تحقيق استقرار إقليميّ يدعم تواجدها العسكريّ المريح في قاعدة طرطوس للمزيد من العقود المقبلة. أما ميدانيا، فقد شكّل قتال تنظيم الدولة داعش في سوريا المدخل الأساس للتدخل الروسيّ الجويّ، الذي تتهمه المعارضة بحسم المعركة لصالح الجيش السوريّ.

أما إيران، فقد رفضت الثورة السورية، وسعت إلى استمرار النظام السوريّ الحليف، منذ مرحلة ما قبل صدام حسين في العراق، فقد كان النظام البعثيّ عدوا مشتركا لنظام الملالي وحافظ الأسد، وظلّ التعاون بين طهران ودمشق مستمرا إلى ما بعد سقوط صدام حسين، وهو ما توضح في سياسات رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي، وخلفه حيدر العبادي، كمل تدخل حزب الله اللبناني لترجيح كفّة النظام السوريّ وجيشه العلويّ (نقطة ضعف الرئيس حافظ الأسد) [(28)]، وتستمرّ إيران في دعم القتال لصالح الجيش السوريّ، وضدّ الجيش الحرّ، لأنّه تمارس هيمنة إقليمية على أساس طائفيّ في دول المنطقة، وقد نجحت سياستها في دعم توازن قوى يميل إلى صالح النظام على حساب المعارضة المسلحة. يبقى الدور الإيرانيّ نشطا كلما كان الدور الروسيّ مشرفا ورائدا، أما إذا دخل الدور الأمريكيّ على الخطّ، فإنّ تركيا تقوم بدور موازن لا أكثر ولا أقلّ، لئلا يطغى الدور الشيعيّ ويتسبب في تأجيج حرب طائفية أخرى بدل الحرب الأهلية القائمة.

ثالثا: - الدور التركي والسعودي الداعم لقوات المعارضـــة: تقف أنقرة كطرف أساسيّ في الأزمة السورية بسبب أربعة ملفات ضاغطة: مشكلة اللاجئين والنازحين السوريين، مشكلة الأكراد والخشية من دعم أكراد سوريا لحزب PKK، عدم السماح بتهجير السنّة السوريّين كما يحدث في الموصل العراقية (موازنة للدور الإيرانيّ المبالغ)، وأخيرا ملء الفـــراغ السعوديّ، نتيجة ضعف الدور الخليجيّ الغائب والمغيّب. ذلك أنّ تراجع الدور السعوديّ بسبب انهيار أسعار النفط، أدّى إلى تسهيل تراجع دور قوى المعارضة السورية في الداخل السوريّ، وتسهيل انتصار الجيش السوريّ في حلب، وحسم المعارك فيها بطريقة صفرية سهّلت توجه الجانبين إلى مفاوضات الاستانة في كازاخستان.

تصرّ المعارضة السورية ومن ورائها الرياض، على خطة سلام تبدأ برحيل الرئيس السوريّ بشار الأسد كشرط أساسيّ لنجاح المفاوضات، ويبدو إصرار المعارضة متشدّداعلى الرغم من تراجع المطالبة التركيـــة برحيـــل الـــرئيس الأسد، فالدورالتركيّ الموازن لم ينجح في الاتفاق مع نظام الأسد عبر الوساطة العراقية، فآثر الضـــغط علـــى النظـــام السوريّ من خلال الدور الروسيّ المهيمن، والدور الإيرانيّ المؤثّر والضامن.

كما تصرّ المعارضة السورية على إحالة ملفات القتل والتعذيب إلى المحكمة الجنائية الدولية، ولا يتعلـــق الأمـــر بقضايا حدثتبعد اندلاع الثورة السورية سنة 2011، بل بأحداث أقدم تعود إلى سنة 1982، من مجزة حماة الشهيرة التي لا تزالدفترها مفتوحة من قبل الحقوقيين السوريين، والمعارضين الإسلاميين بالأخصّ. **(29)**

رابعا: الأهداف الأمريكية من الدور الأمريكيّ الحامي للكيان الصهيوني: استغلت واشنطن اغتيـــال رئـــيس الـــوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري**(30)**، واندلاع الأزمة السورية اللبنانية، لتقف إلى صفّ المعارضة اللبنانية ضدّ دمشـــق، فأصبح طرد القوات السورية من الأراضي اللبنانية على رأس أجندة الأولويات الأمريكية في الأمم المتحـــدة، فمســـحت إدارة الرئيس جورج والكر بوش جهود الثقة التي كان قد أرساها الرئيس السابق بيل كلينتون مـــع الـــرئيس الســـوريّ الأسبق حافظ الأسد. ومن هنا فق وجدت واشنطن مدخلا للدور الأمريكيّ، متمثلا في "عدم السماح مطلقا، بتهدئة الأزمة بين دمشق وبيروت". **(31)**

وحتى يسهل عليها بناء دور مزدوج تجاه دمشق وطهران في آن واحد، تأكدت واشنطن أنّ طرد القوات السورية من لبنان لن ينهي الوصاية السياسية الواضحة لدمشق على بيروت، لم تجد واشنطن لدى الرياض أوراقا رابحة أكثر من ضرب حزب الله اللبنانيّ لتوجيه هجومها الدبلوماسيّ على الدور الإيرانيّ الداعم لدمشق، التي مارست إرهابها خـــارج الحدود السورية (في لبنان) بقتل غسان تويني وسمير قصير وكمال جنبلاط ورشيد كرامي وريمون إدّه... وغيـــرهم، حسب ما تدعيه المعارضة اللبنانية **(32)**، والتأثير بعمق أكثر على حزب الله الذي نجح في أسر الجنود الإسرائيليين فـــي أكثر من مناسبة، وتهديد الأمن القوميّ الصهيونيّ في أكثر من مناسبة، وأكثرها وضوحا حرب تموز 2006. **(33)**

وجدت الإدارة الأمريكية في الربيع السوريّ ضالتها، فقد أقرّ الكونغرس الأمريكيّ قانونا لمحاسبة ســـوريا التـــي وصفتها إدارة الرئيس الأسبق جورج والكر بوش بـــ: "الدورة المارقة"**(34)**، لأنّها تدعم الإرهاب المتمثل في حـــزب الله جنوب لبنان وحركة حماس فس قطاع غزّة، ومن هنا فقد ظهر لحكومة الرئيس باراك أوباما أنّ إضعاف مواقـــف ودور دمشق في لبنان وفلسطين سيخدم الحليف الصهيونيّ، بسبب العلاقات العائلية بين واشنطن وتلّ أبيب على حـــدّ وصـــف الباحث الأمريكيّ دانيال بايبس. غير أنّ تخبّطا حدث في الدور الأمريكيّ، خصوصا بعد إدراج فصـــائلفي المعارضـــة السورية ضمن الحركات الإرهابية، مثل جبهة النصرة**(35)**، وهو ما شجّع الرئيس بشار الأسد على تقديم عرضه للقضاء على الإرهاب، خدمة للدول الغربية المتضررة، خصوصا بعد التفجيرات التي شهدتها عواصم المدن الأوروبية.

تتركّز أهداف واشنطن على دعم الحلفاء في منطقة الشرق الأوسط، تل أبيب، الرياض، القاهرة، ضـــدّ دمشـــق وطهران، لذلك هي أهمّ حليف للمعارضة السورية، وهي تأمل في تغيير ينتهي بالأخيرة في السلطة، لتسهيل التطبيع مع الكيان الصهيونيّ.

خامسا: الأمم المتحدة والجامعة العربية: بين أخطاء الانحياز وعجز الإغاثة الإنسانية : بدأت الجامعة العربية والأمم المتحدة خطتها لإحلال السلام في سوريا بإرسال مبعوث إلى سوريا لإنقاذها من خطر الانزلاق إلى الحرب الأهلية، لكنّ الخطأ الفادح في تجميد عضوية دمشق في الجامعة العربية زاد من تعميق الأزمة السورية وفشل مهمة أول مبعوث أممي السيد كوفي عنان، ثم جاء الدور على الأخضر الإبراهيمي مبعوثا مزدوجا من الجامعة العربية والأمم المتحدة إلى سوريا، ولم تنجح فرصة الأخير في إحلال السلام، لأنه وضع خطة تشترط رحيل الأسد، وهو ما أعتبر انحيازا للجيش الحرّ وقوى المعارضة السورية. ولم تنجح مؤتمرات جينيف التي رعاها الإبراهيمي بإسم الأمم المتحدة حتى في إقرار وقف لإطلاق النار، وفضح الإبراهيمي مسألتين مهمتين: (اقتناع النظام في دمشق بالنصر العسكريّ المؤكّد، وتحوّل الأزمة السورية إلى الوكيلين الروسيّ والأمريكيّ). وبعد إقراره بالفشل، تولى ستيفان دي ميستورا

أما فصل الأزمات العربية إلى "لجان رباعية" فقد أضحى تقليدا دوليّا أمميّا [36]، حتى لا يسمح لأيّ بلد عربيّ أن يشارك في أزمة الدولة المجاورة له بأكثرمن صفة (دول الجوار)، وكان يمكن للجنة الراعية أن تعمّم وتدوم في الحالة السورية، لولا قيادة كلّ من موسكو وتركيا وإيران مفاوضات الإستانة الأخيرة في كزاخستان. ففي كثير من المواقف كان دور الامم المتحدة معرقلا للسلام، ومنها على سبيل المثال اتهام النظام السوريّ باستخدام أسلحةكيماوية ثبت أنّ المعارضة هي المسؤولعن استخدامها، والاستعجال الدائم في تمرير الملف السوريّ إلى المحكمة الجنائية الدولية، عكس ماهو متبع تجاه الكيان الصهيونيّ الغاصب؟؟.

أما مشكلات الإغاثة الإنسانية، فقد أثبتت أشكالا مختلفة من الإبتزاز المزدوج، فبالنسبة للأردن وتريكا، يمكن للبلدين تحمّل عبء استقبال اللاجئين، لكن عبر دعم ماليّ للمانحين بإسم المجتمع الدوليّ، فإذا كانت الأردن قد حصلت على الدعم الماليّ عن استحقاق، فقد طلب الأوروبيون من أنقرة لعب دور الشرطيّ لوقف أفواج وأمواج المهاجرين والنازحين السوريين، وقبلت تركيا المهمة، لكنه طالبت بدعم سخيّ من قبلالمانحين الأوروبيين لتحمّل كلفة اللاجئين السوريين.

سادسا: التطهير العرقيّ الشيعي للسنّة: مخاطر محاكاة تجربة الموصل في سوريا : بداية، لا تنكر الدراسات وقوع انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان في سوريا من قبل جميع الفرقاء في الأزمة السورية، فقد أكّد أحد أعضاء وفد الجامعة العربية إلى سوريا، الجزائريّ أنور مالك، تسجيل حالات قتل وتعذيب حقيقية في سوريا أثناء فترة التفتيش العربيّ في الدولة السورية، لم يخجل النظام السوريّ من وقوعها، لأنّه لم يبادر إلى وقفها أو حتى مجرّد إخفائها.[37]

تأست البنية التسلطية للنظام السوريّ البعثيّ على إلغاء المعارضة الإسلامية والليبرلية، والتحجّج بالصراع مع الكيان الصهيونيّ، للزعم بأنّها تدافع عن الطرح الوحدويّ للأمة العربية، وما إن اندلعت الثورة السورية حتى تأكّد أنّ دمشق بحاجة إلى الحليف الشيعيّ من طهران، والذي مارس انتهاكات فضيعة في حقوق الإنسان، استخدم فيها خطابا طائفيا ضدّ السنّة، في محاولة لمحاكاة ما حدث في الموصل من تهجير وتطهير عرقيّ للسنّة، والعمل على جعل المدينة شيعيّة بالكامل، بحجة طرد تنظيم الدولة الإسلامية من المدينة.

لم يتمكن النظام السوريّ - كما العراقيّ -، من التغطية على الدور المسلح للميلشيات الإيرانية الشيعية، وخططه المحكمة لتهجير السنّة بحجة مكافحة الإرهاب والتطرّف، دون أن يتحدث أيّطرف عن العنف المضاد لهذه القوات على المدنيين العزّل، فتلك الحجج التي لم تنطل على الرياض، لم تجد الدعم الدوليّ لفضحها، باستثناء الوكالة التركيّة عن الرياض، حيث رفض الرئيس التركيّ رجب طيّب أردوغان تهجير السنّة من الموصل وحلب، ورفض الطرح الطائفيّ الصفويّ، الذي أفسد أجندة المعارضة السورية.

سابعا: مسألة القضاء على تنظيم الدولة في سوريا والعراق: تحدّثت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون، التي رافق ظهورها في هذا المنصب، اندلاع ثورات الربيع العربية، عن التضارب الحاصل في الدور

الأمريكيّ الداعم للحريات الديمقراطية، وما قد ينجرّ عنه من وصول متشدّدين للسلطة، مما قد يعرّض المصالح الأمريكية للتهديد [38]، فنتيجة لفشل الثورات العربية في وضع خطة طريق خطيّة للتحوّل الديمقراطيّ، انحرف الفصيل اليمينيّ المتطرّف نحو التشدّد الراديكاليّ، المتآمر على الثورات الشعبية. وعلى الرغم من استهانة المجتمع الدوليّ بقوة تنظيم الدولة، فقد تحولت الصدمة من احتمالية ملء التكفيريين فراغ انهيار الدولة السورية كما حدث في العراق، وضع المجتمع الدوليّ أجندة واضحة للقضاء على تنظيم الدولة داعش، وهو ما أحدث ارتباك في ما بعد، بسبب ممارسات التطهير العرقيّ ضدّ السنّة، والدور الملتبس للميليشيات الشيعية في العراق وسوريا، ردّا على التطرّف المبالغ للسلفيّة في تنظيم الدولة. [39]

ربما يكون محاربة تنظيم الدولة داعش، القاسم المشترك بين جميع الفرقاء في المسرح السوريّ المتأزّم، غير أنّ جميع الأطراف لم تنصرف عن جبهة القتال دفاعا عن هيبة الدولة السورية، التي تضرّر بنيتها التحتية بالكامل، بما في ذلك، المواقع الأثرية التي حطّمتها جحافل التكفيريين في تدمر وغيرها، كما حدث في العراق سابقا.

ثامنا: أزمة النازحين السوريين ومشكلة الهجرة: تشترك ثورات الربيع العربي في سوريا واليمن وليبيا ومصر وتونس، في أزمة اللجوء السياسي والهجرة والنزوح، التي أجبر عليها سكان المدن الواقعة ضمن دوائر الاقتتال المسلح بين السلطة والمعارضة، فباستثناء النموذج التونسيّ الذي توصّل إلى تحوّل سلميّ نجم عن الحفاظ على المسار الخطيّ للمرحلة الانتقالية، فقد أدّت كلّ الثورات المتبقية إلى الانحراف عن المسيرة الخطيّة للثورات، في اتجاهات مختلفة، انتهت إلى عسكرة التجربة المصرية وانقسام المجتمع، طائفية اليمن وتراجعه عن أمل الوحدة، تدويل الأزمة السورية تحضيرا للتقسيم، غياب الدولة وتعدّد النماذج السلطوية في التجربة الليبية، لذلك خلص كلّ من **نيكولاس بو** و **دومينيك لاغارد** إلى "**إستثنائية التجربة التونسية السلميّة**"، رغم النقطة المعتمة لتحوّل تونس، إلى أكثر الدول العربية تصديرا للجهاديين المنضوين تحت لواء تنظيم الدولة "داعش" في سوريا والعراق، وهو ما يخشاه التونسيون اليوم، سلطة وشعبا، جرّاء احتمال عودة أكثر من 2000 جهاديّ إلى الأراضي التونسية، عقب أزمة الموصل وحلب.

ينقسم السوريون الفارون من أراضي الاقتتال المسلح، إلى ثلاث فئات: نازحون، لاجئون، مهاجرون غير شرعيين، وتقدّر الدراسات أنّهم يصلون إلى 04 ملايين نازحين منذ بداية الأزمة السورية إلى سنة 2016، غالبيتهم تمكنوا من الفرار عبر الأراضي التركية، أما البقية فتوزعوا على الأراضي العربية، وتعتبر أكبر مجمعات اللاجئين في الأردن، حيث يعاني هذا البلد الصغير من تداعيات الأزمة السورية، ويستقبل ما يزيد عن 2000 أسرة سورية كلّ يوم. أزمة اللاجئين السوريين التي وصلت إلى الحدود الألمانية، حيث وقّع الاتحاد الأوروبيّ اتفاقا مع تركيا لتكليفها برعاية اللاجئين السوريين وتوفير الإغاثة الإنسانية لهم في المخيمات، بمنحة دولية أوروبية وصلت إلى 06 مليارات دولار. رحلة محفوفة بالمخاطر، حوّلت البحر الأبيض المتوسط إلى أكبر مقبرة بحرية في التاريخ الإنسانيّ، بسبب غرق العشرات من السوريين الفارين من الحرب، ناهيك عن تورّط مافيا الاتجار في البشر في تهريب السوريين وتوقيع انتهاكات فضيعة في حقهم. [40]

الخاتمة: سجّلت الأزمة السورية أكثر من ربع مليون قتيل و04 ملايين نازح ولاجئ وراء الحدود، وانتقال دمشق نحو الوصاية الروسية، وضياع هيبتها وقرارها السياديّ، وتحوّل أقاليمها إلى مسرح للتنافس والصراع السعوديّ الإيرانيّ، وبدل أن تجد جيرانا يراعون ظرفها المتأزّم، ازدادت الأزمة السورية تدهورا، بسبب السياسات المعادية لكلّ من أنقرة وتل أبيب، وأضحت الأزمة السورية أقرب إلى الاكتمال بسبب السأم من النتائج الكارثية للثورة السورية غير القابلة للتنفيذ، وقد قامت على أكثر من 70 جنسية دولية أجنبية، وتدخّل العديد من القوى الدولية في الشؤون الداخلي السورية، كلّ ذلك عقابا لدمشق على دورها في ممارسة الهيمنة الصغيرة على لبنان لأكثر من نصف قرن مضى؟؟.

الهوامش والإحالات:

(*)ـــــ أكّد الوسيط المزدوج للجامعة العربية والأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية، وزير الخارجية الجزائري الأسبق، الدبلوماسي الأمميّ الأخضر الإبراهيمي، أنّ الرئاسة السورية رفضت ترتيب لقاء للإبراهيمي مع نائب رئيس الجمهورية السيد فاروق الشرع، إذ يحتفظ حزب البعث بالسيد فاروق الشرع كورقة أخيرة للحفاظ على بقائه، في حال تحقيق اتفاق قد يرغم النظام في دمشق على عزل الرئيس بشارالأسد من منصبه.

(1)ـــــ فاروق الشرع، **الرواية المفقودة: مذكرات وشهادات** (بيروت - الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/ يناير 2016)، ص448.

(2)ـــــ جمال واكيم، **صراع القوى الكبرى على سوريا: الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011** (بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، ط. 02، 2013)، ص34.

(3)ـــــ تقرير تلفزيوني عن مفاوضات الإستانة، **محمد علوش: تبدأ العملية السياسية في سوريا برحيل بشار الأسد، شبكة شام ShaamNetwork S.N.N**، يوتيوب، الرابط الإلكتروني:

≤https://www.youtube.com/watch?v=GIezeOtll7g≥

(4)ـــــ خضر علوان، **القوى العالمية و التوازنات الإقليمية** (عمان : دار أسامة، 2009)، ص. .

(5)-Michel J. Grozier. Samuel P. Huntington, Joji Watanuki, **The Crisis of Democracy: Report on The Governability of Democracy to The Trilateral Commission** (New York: New York Press, 1975).

(6)ـــــ دانييل لوغاك، **سورية في عهد الجنرال الأسد** (تعريب: حصيف عبد الغني) (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2006)، ص293.

(7)ـــــ ناعوم تشومسكي، **الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالميّة** (تعريب: أسامة إسبر) (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004)، ص. .

(8)ـــــ لويد جنسن، **تفسير السياسة الخارجية** (ترجمة، محمد بن أحمد مفتي، محمد السيد سليم) (الرياض: قسم العلوم السياسة، كلية العلوم الإدارية، جامعة الملك سعود، 1989)، ص23.

(9)ـــــ محمد السيد سليم، **تحليل السياسة الخارجية** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط.02-1989)، ص18.

(10)ـــــ كارن إن سميث، **الأخلاق و السياسة الخارجية** (الرياض: مكتبة العبيكان، 2005)، ص20.

(11)ـــــ كليفتون مورجان، **نظرية السياسة الخارجية** (الرياض: منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، جامعة الملك سعود، 2011)، ص 15.

(12)ـــــ محسن أحمد الخضيري، **مبادئ التفاوض** (القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2003)، ص 43.

(13)ـــــ علي حسين الشامي، **الدبلوماسية: نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحضانات والامتيازات الدبلوماسية** (عمان: دار الثقافة للنشر، 2007)، ص90.

(14)ـــــ كلاوس ديفيد، ديفيد أتكنسون، **الجغرافيا السياسية في مائة عام: التطوّر الجيوبوليتيكي للعالم، الجزء: 01** (ترجمة: عاطف معتمد، عزّت زيّان) (القاهرة: المركز القومي للترجمة، العدد: 1592، 2010)، ص12.

(15)ـــــ محمد رياض، **الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا** (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص44.

(16)ـــــ كلاوس ديفيد، ديفيد أتكنسون، **الجغرافيا السياسية في مائة عام: التطوّر الجيوبوليتيكي للعالم، الجزء: 01** (ترجمة: عاطف معتمد، عزّت زيّان) (القاهرة: المركز القومي للترجمة، العدد: 1592، 2010)، ص12.

(17)ـــــ محمد عبد الغني سعودي، **الجغرافيا السياسية المعاصرة: دراسة الجغرافيا العلاقات السياسية الدولية** (القاهرة: مكتبة الانجلومصرية، 2010)، ص06.

(18)ـــــ خضر علوان، **القوى العالمية والتوازنات الإقليمية** (عمان: دار أسامة للنشر، 2009)، ص 62.

(19)ـــــ إبراهيم أبو خزام، **الحروب وتوازن القوى: دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام** (بنغازي ـــــ بيروت: دار الكتاب الجديد، ط. 02، 2009)، ص 40.

(20)ـــــ كينيث تومسون، **قادة الفكر الدولي في القرن العشرين** (ترجمة: حسين فوزي النجار) (القاهرة: دار المعارف،1985)، ص 84.

(21)ـــــ بييتر فانستين، **مدخل إلى فهم الصراعات والحرب والسلام** (ترجمة: سعد فيصل السعد، محمد محمود دبور) (عمان: المركز العربي للدراسات السياسية، جامعة اليرموك، 2005)، ص 319.

(22)ـــــ محمد مسعود قيراط، **الإرهاب: دراسة في البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته.. مقاربة إعلامية** (الرياض: جامعة نايف العربية للعوم الأمنية، 2011)، ص140.

(23)ـــــ روبرت دال، **التحليل السياسي الحديث** (ترجمة: علا أبو زيد) (مراجعة: عليّ الدين هلال) (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط .05، 1993)، ص135.

(24)ـــــ صاموئيل هنتنغتون، **النظام السياسي لمجتمعات متغيرة** (ترجمة: سمية فلّو عبّود) (بيروت: الفكر الغربي الحديث، دار الساقي، ط.1، 1993)، ص 138.

(25)ـــــ فؤاد الآغا، **علم الاجتماع العسكريّ** (عمّان: دار أسامة للطباعة والنشر، 2008)، ص45.

(26)ـــــ بييتر تيلور، كولن فلنت، **الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر: الاقتصاد العالمي، الدولة القومية، المحليات، الجزء: 01** (ترجمة: عبد السلام رضوان، إسحاق عبيد) (الكويت: منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 282، 2010)، ص20.

(27)ـــــ عاطف معتمد عبد الحميد، **استعادة روسيا مكانة القطب الدوليّ... أزمة الفترة الانتقاليّة** (بيروت - الدوحة: الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، سلسلة أوراق الجزيرة، رقم: 12، 2009)، ص 02.

(28)ـــــ حسن صبرا، **سورية: سقوط العائلة ... عودة الوطن** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص 101.

(29)ـــــ عبد الله الدهامشة، **مزرعة الأسد** (بيروت: دار النواعير، ط. 02، 2012)، ص. 311.

(30)ـــــ نيكولاس بلانفورد، **زلزال لبنان: اغتيال رفيق الحريري وتأثيراته في الشرق الأوسط** (القاهرة: مكتبة مدبولي،2007)، ص 196.

(31)ـــــ فؤاد مطر، **سوريا المغلوب على أمرها** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص262.

(32)ـــــ محمد الداخل، **إرهاب العصابة الأسدية خارج سويا** (بيروت: الدار السورية للنشر، ط. 03، 2012)، ص12.

(33)ـــــ نيكولاس بلانفورد، **زلزال لبنان: اغتيال رفيق الحريري وتأثيراته في الشرق الأوسط** (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2007)، ص360.

(34)ـــــ عزمي بشارة، **سورية درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن** (الدوحة:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص463.

(35)ـــــ ريز إرليخ، **داخل سورية: قصة الحرب الأهليّة وما على العالم أن يتوقع** (ترجمة:رامي طوقان) (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص93.

(36)ـــــ عصام بن الشيخ، **"خطط الإجهاز الدوليّ على -الفرائس العربية- ... ظاهرة - الرباعية- الدولية... وأوهام السلام المؤجّل"، موقع الحوار المتمدّن**، العدد: 5188، محور: حقوق الإنسان، (2016/06/09)، الرابط الالكتروني:
≤http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=519988≥

(37)ـــــ أنور مالك، **ثورة أمة: أسرار بعثة الجامعة العربية إلى سوريا** (الرياض: منشورات العبيكان، 2013)، ص 384.

(38)ـــــ هيلاري كلينتون، **خيارات صعبة: مذكرات هيلاري كلينتون** (ترجمة: ميراي يونس) (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2015)، ص12.

(39)ـــــ محمد جمال باروت، **العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح** (بيروت - الدوحة:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس/ آذار 2013)، ص 330.

(40)ـــــ فولفجانج باور، **هاربون من الموت: السوريون والطريق إلى أوروبا** (ترجمة: جمال خليل صبح) (القاهرة: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2016)، ص 151.